التبئير في سورة البقرة دراسة في النحو الوظيفي

م. باسم كريم مجيد
جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

هدف هذه الدراسة مقاربة الفكر النحوي عند الغرب بالفكر النحوي العربي ، وذلك بتطبيق مجالات وظائف النحو الوظيفي على القواعد اللغوية العربية ، المنضوية في النص القرآني ، وصولا إلى المعنى بوساطة وظيفة التركيب النحوي وعلاقته بالمقام.

Abstract

The purpose of this study is to approach the grammatical thinking in the West with Arab grammatical thought, by applying functional fields of function to Arabic grammatical rules, which are included in the Qur'anic text, to the meaning through the function of syntax and its relation to the denominator.

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كُنّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، حبيب إلـــه العالمين ، أبي القاسم مُحَمَّد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحبه المنتجبين إلى قيام يوم الدين .

وبــعد...

شهد النحو العربي تطورا ملحوظا في الدراسات العربية المعاصرة ، بفعل التواصل و الاطلاع على الفكر اللغوي الغربي الحديث ونتاجه ، وكان حصيلة هذا التقارب الفكري ما بين الباحثين العرب وفلاسفة اللغة التحليلية في الغرب ، ظهور مؤلفات عدة تجمع ما بين الدرسين العربي والغربي سواء بالترجمة وعرض النظريات أو بتطبيقها على النصوص العربية أو بالمقارنة ما بين الفكرين ، وإيجاد نقاط التلاقي والافتراق، وبوضع نظريات مقاربة مع التطوير بما يلائم اللغة العربية ، وهذا وما وجدناه لدى الباحث العربي الدكتور أحمد المتوكل في مقاربته لنظرية النحو الغربي مع تطويرها بما يلائم القاعدة اللغوية في النحو العربي ،وقد تجسدت دراساته هذه في مؤلفات عدة ، ولم ينحصر الأمر على النحو الوظيفي ، بل تعدى إلى نظريات نحو النص، فانبرى الباحثون ما بين مترجم ومقارن ودراس ومؤلف على غراره ...

وقد تطرق البحث إلى أحد تلك النظريات ، وأكثرها شيوعا وتماسا في اللغة ، ألا هو النحو الوظيفي ، لأهميته البالغة في المجال التواصلي ، فيُعدُّ أداةُ تواصل بين أطراف الخطاب ، لذلك اختير ليكون عنوانا للبحث في كتاب الله المقدس ، وأداة مؤثرة للكشف عن المعنى وتفسير ظواهره على وفق المقام التخابري ، وعدم الاكتفاء بالجانب الصوري والقوالب الشكلية .

ولتشعب هذه النظرية وتعدد أركانها ، فُضِّل دراسة أحد وظائفها ألا وهي الوظيفية التداولية الداخلية المسماة بالبؤرة ، أي بؤرة الحدث ، ولذا كان جدير بالباحث أن يقسم البحث على تمهيد يتضمن أهم مفاصل النحو

الوظيفي ، ومبحثين اشتمل الأول على القسم الأول من البؤرة ، وهي بؤرة الجديد، وتطبيقاتها على سورة البقرة ، والمبحث الثاني تضمن القسم الأخر من وظائف البؤر المسماة بالمقابلة، وأوجز البحث بخاتمة وقائمة بأهم المصادر والمراجع

وديدن الباحث أن تكون المشكلات والصعوبات رفيقة بحثه، فكانت المشكلة المرافقة للبحث هي صعوبة الرموز المستعملة في مؤلفات النحو الوظيفي ، مع صعوبة المصطلحات الدالة.

وأخيراً لا أدَّعي لبحثي هذا الكمال فالكمال لله وحده ، علماً أنَّني بذلتُ جهدي ، وأعملتُ فكري لأضع هذه الدراسة بالمستوى المطلوب، وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على مُحمَّد وآله الطاهرين

التمهيد

إضاءات حول النحو الوظيفي

ماهية النحو الوظيفي ونشأته

ترجع أصول هذه النّظريّة إلى مدينة أمستردام الهولنديّة مع مؤسّسها الأوّل "سيمون ديك" عبر أبحاثه المتعدّدة التي رسم بها الإطار النظري والمنهجي العام للنظرية، وقد استطاع المشتغلون على هذه النّظريّة أن يقدموا دراسات لغوية متنوعة مسّت مجال الدلالة والتداول والمعجم والتركيب في لغات مختلفة تنتمي إلى فصائل متباينة نمطيا، وقد تمكنت بوساطتها أن تؤسس لنفسها مكانة علمية متميزة بين النّظريّات اللسانية المعاصرة[١]، وفي هذا المضمار يقول أحمد المتوكل إن: ((النّحو الوظيفي الذي اقترحه سيمون ديك في السنوات الأخيرة، في نظرنا، النّظريّة الوظيفيّة التداولية الأكثر استجابة لشروط التنظير من جهة، ولمقتضيات النّمذجة للظواهر اللغوية من جهة أخرى، كما يمتاز النّحو الوظيفي على غيره من النّظريّات التداولية بنوعية مصادره. فهو محاولة لصهر بعض مقترحات نظريات لغوية (النّحو العلاقي) (Case Grammar) ، و نحو الأحوال (Relational Grammar) ، و نظريات فلسفية (نظرية الأفعال اللغوية خاصة)(Speech acts theory) ، و الوظيفيّة (Functionalism) التي أثبتت قيمتها في نموذج صوري مصوغ حسب مقتضيات النّمذجة في التنظير اللساني الحديث))[٢]، وقد حدّه "كونو" بأنه ((مقاربة لتحليل البنية اللغوية تعطي الأهمية للوظيفة التواصلية لعناصر هذه البنية بالإضافة إلى علاقتها البنيوية))[٣]، فالنحو الوظيفي يتجاوز الاتجاه الشكلي أو الصوري للغة الذي يقف في مقاربته عند حدود بنيتها ولا يكاد يتعداها ، ويسعى إلى ربط بنية اللغات الطبيعية بوظائفها التواصلية في المجتمعات[٤] .

مبادئ النحو الوظيفي:

وضع الباحثون اللسانيون في هذا المجال مجموعة من المبادئ التي يقوم عليها النحو الوظيفي منها[٥]:

أولا – مقاربة اللغة تقوم على أساس أنه أداة للتواصل داخل المجتمعات البشرية .

ثانيا – وظيفة اللغة الأساس هي التواصل، تتفرع عنها وظائف أخرى ، منها(تعبيرية ،و إقناعية وغيرها).

ثالثا- القدرة التي يكتسبها مستعمل اللغة هي قدرة تواصلية عامة تشمل كل المعارف اللغوية والخطابية وغيرها، التي تمكنه من انتاج أي خطاب وفهمه وتحويله إما ترجمة أو تفسيرا أو تأويلا أو شرحا .

رابعا – تحكم الوظيفة بنية اللغة عامة وبنية ما يمكن أن ينتج داخلها من أنماط خطابية في التزامن أو في التطور.

ومهمة الباحث في مجال النحو الوظيفي تكمن في بناء نسقين من القواعد ،وهما[٦] :

أ نسق القواعد التّداولية (الجوانب الوظيفيّة) التي تحكم التّفاعل الكلامي باعتباره نشاطا تعاونيا مبنينا.

ب - نسق القواعد الدلالية والتركيبية والصوتية (الجوانب الصورية) التي تحكم العبارات اللغوية المستعملة بصفتها أدوات لذلك النشاط.

بمعنى أن يتجاوز الباحث الجانب الوصفي ورصد الظواهر إلى تفسير تلك الظواهر بمستويين ، المستوى النحوي العلائقي الصرف في بنية الظاهرة والمستوى المقامي أو السياقي بين أطراف الخطاب ، وتجسد المستوى الثاني من التفسير في ((لجوء المنظرين الوظيفيين إلى النّظريّات النفسية لإثبات الكفاية النّفسية لإواليات النّحو الوظيفي وقواعده؛ أي إثبات أنّ هذه الإواليات والقواعد مطابقة لنموذجي إنتاج العبارات اللّغوية

وتأويلها من حيث إنهآ تعكس سلوك مستعملي اللّغة الطبيعيّة أثناء هاتين العمليتين))[٧]، وسيتضح هذا في الجانب التطبيقي من البحث.

البنى والوظائف في النحو الوظيفي:

تنقسم البنية في النحو الوظيفي إلى ثلاثة أقسام ، وهي البنية الحملية، والبنية المكونية والبنية الوظيفية، فإما البنية الحملية فتتعلق بالأطر الحملية التي تدل على واقعة ، وهذه الواقعة تصنف في النحو الوظيفي على أعمال أو أحداث أو أوضاع[٨]، وتقسم على مجموعة من الأطر ، وهي المحمول ، والحد الموضوع ،والحد المتقبل، واللاحق ، والمحمول إما فعل ، وإما اسم ، مثلا قرأ زيد الكتاب ليلا ، فقرأ محمول ، وزيد حد الموضوع ، والكتاب المتقبل واللاحق ليلا[٩] ، فـ((إذا كان المحمول لا يتضمن إلا حدود موضوعات فإنه إطار حملي نووي، وإذا اشتمل على حدود موضوعات، وحدود لواحق كان إطارا حمليا موسعا))[١٠].

أما البنية الوظيفية ، فتنقسم على ثلاث :

الأولى :الوظيفية الدلالية وتتعلق بالأدوار التي تمثلها حدود الحمل ، وتتوزع على المنفذ، المتقبل، المستقبل، الأداة، المكان، الزمان، الحال)[١١] ، وقد مثلنا لها سالفا في تعريف البنية الحملية، وأما والوظائف تركيبية فتتضمن وظيفة الفاعل والمفعول، فوصف ذلك أحمد المتوكل قائلا: ((ويرتبط إسناد الوظيفتين الفاعل والمفعول بنوع الوظائف الدلالية التي تحملها حدود البنية الحملية))[١٢]، وظيفة الفاعل تسند إلى الحد الذي يشكل المنظور الرئيسي للوجهة ، بينما الوظيفة المفعول فتسند إلى الحد الذي يشكل المنظور الثانوي للوجهة ويطلق على الفاعل المنفذ وعلى المفعول المتقبل[١٣]، أما الثانية: فهي الوظائف تداولية، التي تنقسم هي الأخرى على نوعين ،الأول الوظائف الخارجية ويقصد بها الوظائف التي تُسند إلى مكونات تتموقع خارج الجملة وتشمل (المبتدأ، والذيل، والمنادى) [١٤]،والنوع الثاني الوظائف الداخلية وتتضمن (البؤرة، والمحور)، تستند إلى مكونات التي تعد عناصر من عناصر الحمل ذاته(موضوعات المحمول ولواحقه) [١٥].

ثالثا البنية المكونية: ((يقصد بالبنية المكونية البنية الصرفية – التركيبية – ويتم بناء البنية عن طريق إجراء النسق الثالث من القواعد " قواعد التعبير " التي تطبق طبقا للمعلومات المتوافرة في البنية الوظيفية.

يشمل نسق قواعد التعبير مجموعات القواعد الآتية:

- قواعد إسناد "الحالات الإعرابية ".
- قواعد إدماج مخصصات الحدود (إدماج أداة التعريف مثلا)
- القواعد المتعلقة بصيغة المحمول (بناء الفاعل، بناء المفعول، إدماج الرابط كان، وما إليها، المطابقة....الخ).
- قواعد الموقعة التي تترتب المكونات بمقتضاها داخل الجملة.
- قواعد إسناد النبر والتنغيم))[١٦].

وسيتطرقُ البحث إلى أحد الوظائف الرئيسة في النحو الوظيفي، وهي البؤرة التي تصنف ضمن الوظائف التداولية الداخلية للنحو الوظيفي ، و تعني أن تسند إلى المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزا في الجملة[١٧]، وتقسم بدورها على وظيفتين ، الأولى وظيفة بؤرة الجديد ، والأخرى وظيفة بؤرة المقابلة ، وتمتاز هذه الوظيفة عن الوظائف الدلالية والتركيبة، بكونها علاقات تقوم بين مكونات الجملة على أساس البنية الإخبارية المرتبطة بالمقام[١٨]، ولأهمية هذا المجال الوظيفي، سيتم البحث في النص القرآني(سورة البقرة تحديدا)، لبيان المقامات التخاطبية من وجهة نظر التراكيب النحوية الوظيفية، بمعنى الكشف عن المعنى بوساطة وظيفة التركيب النحوي وعلاقته بالمقام الوارد فيه .

المبحث الأول : بؤرة الجديد

حدَّ " سيمون ديك" بؤرة الجديد بأنها((البؤرة المسندة إلى المكون الحامل معلومة التي يجهلها المتكلم))[١٩]، في حالة الاستخبار أو المخاطب في حالة الإخبار فعندما يسأل المتكلم : ماذا شربت بعد الأكل ؟ يجيب المخاطَب : شربت الشاي، فهذه المعلومة يجهلها المتكلم في حالة الاستفهام والإخبار[٢٠]، بمعنى آخر أن بؤرة الجديد في النحو الوظيفي تقترن بالمخاطَب دون المتكلم، فهو الحامل لها المكلف بنقلها للمتكلم في حال من الأحوال . فما

هي تلك الحالات ؟ ، وما الوسائل الممكنة التي يتم بوساطتها انتقال بؤرة الجديد أو المعلومة من المخاطِب إلى المخاطَب؟ .

في هذا المضمار يصنف "أحمد المتوكل" وظيفتين فرعيتين في بؤرة الجديد ، هما بؤرة الطلب وبؤرة التتميم، هذان الوظيفتان عملهما طلب المعلومة وجوابها بين طرفي الخطاب المتكلم والمخاطب، فبؤرة الطلب ((تسند إلى المكون الحامل للمعلومة التي يطلب المتكلم إضافتها إلى مخزونه))[٢١]، كما في المثال المذكور سالفا : ماذا شربت بعد الغداء؟ ، أما بالنسبة للوظيفة الفرعية الأخرى وهي التتميم فتستند ((إلى المكون الدال على المعلومة المقصود بها إغناء معلومات المخاطَب))[٢٢]، وتتمثل في المثال السابق بلفظ " الشاي" ، وهو ما يطابق في البلاغة العربية ما يسمى "بالخبر بالابتدائي " ، أي الخبر الذي يلقى إلى خالي الذهن [٢٣].

هذا من حيث الوظائف أمَّا من حيث مجال التبئير أو مجال الوظيفة فيسند كل من بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة أيضا إلى حد من حدود الحمل أو الحمل برمته[٢٤] ، فعند إسناد البؤرة إلى حد أو مكون من مكونات الحمل كأن يكون فاعلا أو مفعولا أو لاحقا فتسمى بؤرة مكونية، وعندما تسند إلى مكونات الحمل كافة فتسمى حينئذ بالبؤرة الحملية ، ويستثنى من تلك المكونات الوظائف الخارجية المتمثلة بالمبتدأ و الذيل والمنادى، مثال ذلك يا خالد ، عمرو، ساءني سلوك أخيه ، بل ابن عمه، "ساءني سلوك أخيه" تعد بؤرة جملة دون المكون المنادى خالد ، أو المبتدأ عمرو، أو الذيل ابن عمه [٢٥].

ونضرب مثلا آخر أكثر وضوحا مما سبق : عمرو، عاد أخوه من السفر ، فجملة عاد أخوه من السفر بؤرة جديد مجال تبئيرها جملة كاملة خبر للمبتدأ عمرو، أو نقول عاد زيد من السفر البارحة ، فلفظة البارحة هي بؤرة الجديد ، ولكن مجال تبئيرها عنصر واحد من البنية الحملية [٢٦].

ويميز المتوكّل لهذه النمط من البؤر طبقة مقامية تشتمل على مقامين مختلفين[٢٧].

مقام ١- يجهل المخاطب المعلومة التي يقصد المتكلم إعطاءه إياها (أو يعدّ المتكلم أنّ المخاطب يجهلها).

مقام ٢- يجهل المتكلم المعلومة التي يطلب من المخاطب إعطاءه إياها (في حالة الاستفهام).

وخير مجال للبحث عن الصور التبئيرية في النحو الوظيفي القرآن الكريم ، فقد وردت بؤرة الجديد في مواطن متعددة في سورة البقرة منها قوله تعالى : ((**حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**)) [سورة البقرة : ٢١٤] ، في النص الماثل مجموعة من البنى الحملية الخبرية وأحدى تلك البنى كانت جوابا لبؤرة الطلب ، وموضعا لبؤرة الجديد، وكما يلي :

بؤرة الطلب : متى نصر الله ؟ تمثلت بأداة الاستفهام "متى " وهي من الأدوات التي لها حق الصدارة في الكلام ،و جاء الجواب على الطلب ببؤرة التتميم فقال:

بؤرة التتميم: ألا إن نصر الله قريب .

أما موضوع **بؤرة الجديد فهو**: قريب .

هذا من حيث الوظيفة، أما من حيث "مجال التبئير "، فالبؤرة مكونية إذ وقعت على أحد مكونات الحمل ، وهو اللاحق " قريب" ، ويعرب بحسب الدلالة الوجيهية أي- وجهة الواقعة وصلتها بالحمل-، خبر لـ "إن" ومن حيث الدلالة فهو ظرف الزمان، ومن ثَّم فالبؤرة مكونية .

وطلب معرفة "موعد النصر"؛ لكونها معلومة تكاد أن تكون مجهولة لدى المتكلم أو المستفهم وهو الرسول والذين معه بعد طول الصبر ، ليأتيَ الجواب من عند الله بأن موعده قريب؛((وذلك لأن الرسل عليهم السلام يكونون في غاية الثبات والصبر وضبط النفس عند نزول البلاء ، فإذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا ، كان ذلك هو الغاية القصوى في الشدة ، فلما بلغت بهم الشدة إلى هذه الدرجة العظيمة قيل لهم : ((أَلا إِنَّ نَصْرَ الله قَرِيبٌ)) إجابة لهم إلى طلبهم))[٢٨]، وهذا ملائم لدلالة اسم الاستفهام "متى" إذ تستعمل ((في استبطاء زمان النصر))[٢٩] .

ومن الشواهد التطبيقية الأخرى قوله جل وعلا ((**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**)) [سورة البقرة : ٢١٤] ، في الآية الكريمة حكاية لسؤال ، فقد روي ((عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنه جاء عمرو بن الجموح وهو

شيخ مهمّ وله مال عظيم فقال : ماذا ننفق من أموالنا؟ وأين نضعها؟ فنزلت))[٣٠]، وهناك رواياتٌ متعددة في هذا المضمار جلّها يتحدث عن سؤال سُئل به رسول ﷺ، يختص بالإنفاق، فجاء مضمون السؤال وجوابه من المتكلم سبحانه في مضمون الخطاب القرآني مماثلا لبنية الواقع ، المتمثل بالتجربة المعاشة بين الرسول والمسلمين عامة والسائلين بصورة خاصة، وإذا ما حللنا النص على وفق منظورات النحو الوظيفي، نلاحظ أن السمة الأبرز فيه هي البؤرة ، وقد جاءت على الشكل الآتي:

بؤرة الطلب : على حكاية الطلب من الله جل شأنه:(ماذا ينفقون)؟

بؤرة التتميم: ما أنفقتم من خير ، للوالدين والأقربين ، واليتامى والمساكين ، وابن السبيل، ويلحظ أن بؤرة الجديد اشتملت على أكثر من عنصر ، أولها ماهية الأنفاق ، وثانيها مواطن الأنفاق، والضابط الأساس في جمع تلك البؤر في تتميم الطلب ، الواو العاطفة ، و قد اصطلح عليها المتوكل بالعطف الوصلي مقابل العطف الفصلي و أدرج فيهما مجموعة من الحروف فقال : ((يعطف عطف وصل بالأدوات الواو والفاء وثم وحتى ، ويعطف عطف فصل بأدوات ، أو ، بل ، لكن، حتى))[٣١]، كما أدرج له وظيفية مقامية اصطلح عليها بالتوسيع ويكون هذا بين الحدود مثل شرب زيد لبانا وشايا ، أو بين المحمولات مثل الزمخشري مفسرا ونحويا ، أو بين الحمولات مثل ذهب زيد ورجع عمر ، وأضاف المتوكل أنه يجوز العطف بين الحمولات أو المحمولات أو الحدود إذا أدوا جميعهم دور بؤرة الجديد فقط أو أدوا دور بؤرة المقابلة فقط، ولا يصح عطف المحمول على الحد أو الحمل على المحمول أو الحمل على الحد، وقد اصطلح على هذا بقيد التناظر بين المحتويات القضوية[٣٢]، وقد تجلى هذا المفهوم في النص القرآني المذكور ، فقد أتت متعلقات بؤرة التتميم ، وهي مجموعة من الحدود أو اللواحق معطوفة بالعطف الوصلي لتؤدي دور بؤرة الجديد.

أمّا من ناحية مطابقة بؤرة الجديد للطبقة المقامية، فالطبقتان ليستا متماثلتان ، فالمخاطب المستخبر عن المعلومة الجديدة ليس جاهلا بها جهلا تاما ، فهو يعرف ما ينفق، وإنما طلبه على من يُنفق ، ولكن بؤرة الطلب جاءت على اتجاهين الأول السؤال عن ماهية الإنفاق وطرقه، فيذكر أحد المفسرين معنى لطيفا في هذا المضمار((إن الآية واقعة على أسلوب الحكمة، فإنهم إنما سألوا عن جنس ما ينفقون و نوعه، و كان هذا السؤال كاللغو لمكان ظهور ما يقع به الإنفاق و هو المال على أقسامه، و كان الأحق بالسؤال إنما هو من ينفق له: صرف الجواب إلى التعرض بحاله و بيان أنواعه ليكون تنبيها لهم بحق السؤال))[٣٣].

وفي قوله تعالى : ((**أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**)) [سورة البقرة ١٣٣]، أيضا مقولة الطلب وإجابته ، فحكى الله عزل وجل نمط الاستخبار والأخبار القائم في خطاب يعقوب عليه السلام لبنيه، و ((يبدو أن قلقاً ساور يعقوب لدن أن حضرته الوفاة بشأن مستقبل أبنائه، وعبّر عن قلقه هذه متسائلا: (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي)؟ وإنما قال: (مَا تَعْبُدُونَ ...)ولم يقل «مَنْ تَعْبُدُونَ ...» لتلوث البيئة الاجتماعية آنذاك بالشرك والوثنية، أي بعبادة الأشياء من دون الله. فأراد يعقوب أن يفهم ما في قرارة نفوس أبنائه من ميول واتجاهات، وبعد أن استمع الجواب اطمأنت نفسه))[٣٤]، فالانطباع الأول للنص ينبئ عن مطابقة الطبقة المقامية لأطراف الخطاب، فالمطابقة بينهما من المقام الثاني؛ فيعقوب يعلم أن أبنائه يعبدون الإله الواحد مع هذا طلب الجواب؛ ليطمئن قلبه ، أو قد يكون لتقرير التوكيد أي توكيد التوحيد في أنفسهم ، و ربما يكون من أجل الوصية، فيكون خير ما يوصي به عبادة الله الواحد، ولكن أتى على طريقة الطلب والتتميم ، هذا من حيث المطابقة بين مقام حامل البؤرة الجديدة وطالبها ، و أمّا من حيث الهيكل التبئيري الوظيفي للنص ، فكما يلي:

بؤرة الطلب : تمثلت سؤال يعقوب عليه السلام :ضمير اسم الاستفهام(ما تعبدون)؟.

وهنا تحقق الطلب بالأداة وما بعدها فلاستفهام حيث حيزه إلى ينقسم إلى استفهام جزئي "أو استفهام مركب " واستفهام كلي "أو استفهام جملة"))[٣٥]، فـ"ما تعبدون؟" الذي شكّل بؤرة طلب ينحسب استفهاما كليا.

بؤرة التتميم : التي هي موضع الإخبار ، بمعنى إخبار بني يعقوب أباهم بما استفهم عنه، وهي بؤرة الجديد ، فقالوا: ((نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ ابَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلهاً وَاحِداً))، وقد شكلت هذه البؤرة المعلومة الأكثر بروزا في النص ويلحظ عليها أنها لم تكتف بحد أو حمل أو لاحق في الآية الكريمة ، فقد جاءت شاملة في أجزاء الجملة كلها ، فهي إذن " بؤرة جملة"، وقد اشتملت على أكثر من بنية تركيبية، منها : (قالو نعبد إلهك و إله آبائك

) ، فالبؤرة هي الإله ، وقد جاءت في التركيب مفعولا به ، وفي النحو الوظيفي تسمى" لاحقا" وحسب الوظيفة الدلالية للنحو الوظيفي التي قُسِّمت على منفذ ومتقبل ومستفيد ، فإلهك هنا "متقبل " ، والمنفذ هم أولاد يعقوب ، و"المستفيد" يعقوب عليه السلام ،وكان للعطف الوصلي بحرف " الواو" أثر في تأكيد بؤرة الجديدة، فقالوا "إلهك و إله آباك ... ، ثم التعقيب بالوصف ، في قوله إلها واحد ، وكان الوصف المذكور لاحقا مهما في تقرير المعنى في نفس النبي يعقوب عليه السلام ، حسب ما وصفته الآية الكريمة.

ولا ننسى الوصل الضميري في البؤرة المتمثل بضمير الكاف المتصل بـ"إلهك" العائد على يعقوب الذي مكّن من معنى البؤرة ، فقولهم إلهك أي إله يعقوب ، وكذلك إله آباك بمعنى إله إسحاق وإسماعيل ، فالضمائر برأي "هنخلفد وماكنزي" أما أن تحيل على المتخاطبين "المتكلم والمخاطب" ، والضمائر التي تحيل إحالة عود أو استباق على غير المتخاطبين، والنوع الأول هو بدائل اسماء الأعلام ، أما النوع الثاني يربط إحاليا بالنوع الذي سبقه [٣٦]، وهو ما ورد في النص السالف الذكر فربط عنصرين سابقٍ ولاحقٍ يدعمان البؤرة التي يريد المستفيد معرفتها .

ومنه قوله تعالى: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا)) [سورة البقرة : ٢٤٦] ، في النص المذكور سؤالان الأول: من الله عز وجل لنبيه الأكرم ﷺ، وقد خرج لمعنى مجازي تعجبا من هؤلاء القوم، والسؤال الثاني: هو ماحكاه الله عزل وجل عن الخطاب الدائر بين بني إسرائيل ونبيهم ((هو يوشَعُ بنُ نونِ بنِ أفرائيم بن يوسف عليهما السلام وقيل : شمعون بنُ صعبة بنِ علقمة من ولد لاوي بنِ يعقوبَ عليهما السلام))[٣٧]، وكانت نمطية البؤرة فيه على الشكل الآتي :

بؤرة الطلب ((هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا)) .

بؤرة التتميم ((قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))

فرائز التعقيب في الآية المتمثل ببؤرة التتميم تشكَّلَ في جملةٍ كاملة ، وهي" ما لنا ألا نقاتل "، وقد عبرت هذه الأخيرة عن بؤرة الجديد ، لأن " هل" غالبا ما تستعمل مع الاستفهام الذي ينصب على الجملة رمتها أو القضية المطلوب تفسيرها تحديدا[٣٨]، وإذا ما نظرنا إلى الطبقة المقامية ومدى مطابقة المتكلم للمخاطب حامل المعلومة، فإن النبي اعتقد اعتقادا مخالفا لما آل إليه قولهم؛ لذلك قال قولته على سبيل الاستفهام ،((والمعنى أتوقع جبنكم عن القتال إن كتب عليكم ، فأدخل هل على فعل التوقع مستفهماً عما هو المتوقع عنده تقريراً وتثبيتاً))[٣٩]، لكن كان تتميم طلب سؤاله منهم عكس ما توقعه النبي مع صدق توقعه وكذب قولهم !. ؛ لكونهم ((جبنوا عن قتال الأعداء وضعفوا عن المصادمة، وزال ما كانوا عزموا عليه، واستولى على أكثرهم الخور والجبن ((**إلا قليلا منهم**)) فعصمهم الله وثبتهم وقوى قلوبهم فالتزموا أمر الله ووطنوا أنفسهم على مقارعة أعدائه، فحازوا شرف الدنيا والآخرة، وأما أكثرهم فظلموا أنفسهم وتركوا أمر الله))[٤٠].

ومن الصور التبئيرية الأخرى في سورة البقرة ((**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**)) [البقرة ١٤٢]، تمظهر في النص أعلاه أسلوب حكائي حمل نمط من السؤال المستقبلي الذي سيطلب الناس من الرسول إجابته ، وقد تمخض هذا السؤال عما يلي :

بؤرة الطلب: ((مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا)) ؟

وحسب قوله جل وعلا أن السائل هم السفهاء، الذين سيكونون في موضع الاستخبار عن هذه الواقعة وهي- تغيير القبلة - مستقبلا ، وقد صنَّف بعض المفسرين السفهاء في((ثلاثة أقاويل : أحدها : اليهود ، وهو قول مجاهد . والثاني : المنافقون ، وهو قول السدي. والثالث : كفار قريش وحكاه الزجاج))[٤١]، وكما أبلغ الله تعالى سؤال هؤلاء لنبيه الأكرم ، أبلغه الإجابة، فجاء رائز التعقيب في النص ذاته تتميما لطلبهم ليكون على الشكل الآتي:

بؤرة التتميم: ((قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ)) ، فالجواب من الله على لسان رسوله الأكرم ﷺ ويلحظ على بؤرتي الطلب والتتميم بأن بنيتهما التركيبية من النمط الكلي ، فبؤرة الطلب (استفهام كلي)، وبؤرة التتميم (بؤرة جملة)، والوظيفية الدلالية في بؤرة التتميم، تتوزع ما بين منفذ وهو الرسول ، ومستقبل وهي القبلة، ومستفيد وهم السفهاء، وعن مطابقة المقامية بين الطرفين في من النوع الأول ، إذ يجهل السفهاء سبب تغيير وجهة القبلة ، وعند الرسول المعلومة الجديدة أو ما يسمى ببؤرة الجديد.

ويتضح مما سبق في أن بؤرة الجديدة في سورة البقرة أتيت بنسبة قليلة تصل إلى خمس آيات ، وكما تجلى على مدار البحث أن هذا النوع من البؤر يهتم بطلب معرفة أمر ما ، من المخاطب ليردفه الأخير براز التعقيب على ما طلب ، كما اتضح أيضا أن النحو الوظيفي في مجال الاستفهام وجوابه التي اطلق عليها بالبؤرة ، لا يبحث عن المواقع الإعرابية ؛ لإيصال المعنى ، بل يبحث عن علاقة طرفي الخطاب بالطبقات المقامية.

المبحث الثاني: بؤرة المقابلة

هي البؤرة التي تسند إلى المكون الحامل للمعلومة التي يشكّ المخاطب في ورودها أو المعلومة التي ينكر المخاطب ورودها [٤٢]، و بمعنى آخر تستند إلى المكون الحامل للمعلومة المتجادل في ورودها، أي غير المتفق على ورودها[٤٣]، من قبل المتكلم والمخاطب ، وهذا يعني أن المتكلم لديه جزء من المعلومة ولكن بمستويات مختلفة ، فقد تكون ناقصة ، أو محدود ، أو مغلوطة فيتم توسيعها ، أو تتميمها ، أو تصحيحها .

إذا كانت بؤرة الجديد تتعلق بالمعلومة التي تكتفي بإتمام معلومات المخاطب فإن بؤرة المقابلة تتعلق بالمعلومة التي حولها خلاف[٤٤]، فـ((المجال الطبيعي لاستعمال بؤرة المقابلة في الخطاب القائم على النقاش والجدال كالخطاب الجدالي والحجاجي))[٤٥]، وبهذا تحددت مكامن الفرق بين وظائف البؤرة ،أي وظيفة بؤرة الجديد ووظيفة بؤرة المقابلة، ففضلا عن فرق رائز السؤال والجواب –رائز التعقيب- التي انمازت بها بؤرة الجديد، جاءت بؤرة المقابلة؛ لتتجسد في التراكيب المتضمنة التصدير(التقديم) بـ"لا أو بل"، أو التراكيب المتضمنة الحصر، أو شبه الفصل (العطف الفصلي) ، إذ إن هذه التراكيب على رغم من اختلاف خصائصها البنيوية تستعمل للتعبير عن مخالفات معتقدات المتكلم لمعتقدات المخاطب[٤٦]، مما اقتضى تفريع وظيفة بؤرة المقابلة إلى عدة فروع : منها بؤرة الانتقاء، وبؤرة الحصر، وبؤرة التوسيع ، وبؤرة الجحود ، وبؤرة التعويض لتشكل هذه التفريعات رائز تعقيب في بؤرة المقابلة، وفرقا آخر بين بؤرة الجديد والمقابلة، فبؤرة الجديد تكتفي بتتيم الطلب أو السؤال بالإجابة، وبؤرة المقابلة تعقب على ذلك أما بتغيير أو تصحيح أو إضافة، وسيتضح هذا في مظان البحث التطبيقي لسورة البقرة[٤٧]، كما أنه ليس شرطا أن يكون السؤال صريحا في بؤرة المقابلة ، بمعنى آخر غياب عامل الاستفهام في بعض التركيبات المنوطة ببؤرة المقابلة ،((إذ أن ما يقدمه المتكلم من معلومات يكون بناء على طلب المخاطب حيث يصرح بالمعلومة التي جهلها أو المتردد حولها ، أو بناء على تقدير المتكلم لهذا الطلب أي أنه يقدم المعلومة الجديدة للمخاطب وفقا لتوقعاته عن المعلومات التي يجهلها المخاطب، وليس وفقا لطلب صريح من المخاطب))[٤٨]، وهذا النمط كثير في سورة البقرة لاسيما في الخطاب الحواري بين بين الأنبياء وقومهم.

وكما لبؤرة الجديد مطابقة مقامية ، فللمقابلة أيضا نصيب فيها ، فقد جاءت المطابقة بين بؤرة المقابلة والطبقة المقامية[٤٩] على ما يلي:

تطابق بؤرة المقابلة طبقتين مقاميتين ، وتشتمل أولاهما على مقامين اثنين:

١ - المقام الأول يتوفر المخاطب على مجموعة من المعلومات ، ينتقي المتكلم للمخاطب المعلومة التي يعدها واردة.

٢- المقام الثاني: يتوفر المتكلم على مجموعة من المعلومات ، يطلب المتكلم من المخاطب أن ينتقي له المعلومة الواردة" في حالة الاستفهام".

أما الطبقة الثانية : فتشتمل على مقام واحد ، وهي أن يتوافر المخاطب على المعلومة التي يعدُّها المتكلم معلومة غير واردة، ويصحح المتكلم معلومة المخاطب.

وقد تمثلت هذه المقامات وصور تبئيرها في سورة البقرة بأشكال عدة منها:

١ - بؤرة الجحود : و((تدلّ على معلومة موجودة في مخزون المخاطب، يعدها المتكلم غير واردة، و ترد عادة في سياق النفي))[٥٠]، مثال ذلك قوله تعالى ((**وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**)) [البقرة : ١٢٤]، فتجلى في النص المذكور بؤرة المقابلة ، إذ يذكر أحد المفسرين قولا لمجاهد فسر معنى النص وأظهر التركيبات البنيوية العميقة فيه ، فقال: ((إن الله تعالى قال لإبراهيم : إني مبتليك يا إبراهيم ، قال : تجعلني للناس إماماً؟ قال نعم ، قال : ومن ذريتي؟ قال : لا ينال عهدي الظالمين))[٥١]، فاستنبط بالفعل القرائي أسلوبا خطابيا مائزا ، ألا هو الاستفهام بالهمزة، وكما هو متعارف في النحو الوظيفي أن هذا النمط من التراكيب النحوية يندرج في البؤر التقابلية حصرا ، فيذكر المتوكل في أحد مؤلفاته أن الأداة الهمزة تستعمل حين يحمل المستفهم بؤرة المقابلة سواء كانت مركبا اسميا أم بؤرة جملة[٥٢]، وفي هذه الحالة تكون البؤرة مشتركة بين المتكلم والمخاطب ، على أن يحمل الطرف الآخر إضافة عليها بتوسيع أو دحض وهذا ما نجده في بؤرة الجحود ، وقد تجد في البنية التركيبية المحذوفة ، أتجعلني للناس إماما ؟ وهنا طلب معلومة مشتركة بين المتكلم المخاطب ، إما المعلومة المضافة هي : ومن ذريتي ؟ فالجواب : لا ينال الإمامة من كان ظالما .

فهذه البؤرة تستند إلى المعلومة التي يراها المتكلم خاطئة ويراها المخاطب صحيحة ، فهي تقع ضمن المعارضة المطلقة [٥٣]، بمعنى المعارضة المعرفية بين الطبقتين، التي يسعى المتكلم الحامل للمعلومة بتصحيحها للمخاطب ، ويطلق عليها ببؤرة التصحيح[٥٤]، فإبراهيم كان معتقدا أن الخلافة في ذريته ، وهي معلومة صحيحة ، لكن تعارضت مع المعلومة التي حملها الخطاب الإلهي بأن فئة من تلك الذرية لا تنال حظا منها ، فوقع التعارض بين المعلومتين ، وتصحيح الاعتقاد في الوقت ذاته.

وجدير بالذكر أن بؤرة المقابلة(بؤرة الجحود) هي من النوع" بؤرة جملة" ، إذ لم تنحصر بمكون واحد وإنما اشتملت على المكون الكلي ، وهي الحمل المنفي ب"لا" النافية ، والمحمول وهم" الظالمون " واللاحق "عهدي"، وحسب التقسيم الدلالي في النحو الوظيفي ، المنفذ وهو" الله " ، المتقبل "الظالمون "، المستفيد وهو " إبراهيم"، فيكون الجواب حسب السياق والمقام الظالمون لا ينالون العهد ، بنبر الظالمون ، وهي المعلومة الجديدة.

٢ - بؤرة التعويض : وتسند إلى المكون الحامل للمعلومة التي تعوض المعلومة التي يراها المتكلم غير ورادة [٥٥]، وتسمى بالبؤرة المكملة ،((ويبدو أنّ الفرق بين البؤرة السّابقة وهذه هو التعويض في الثانية وعدم التعويض في الأولى، مثل: (لا ما ذهب خالد إلى العاصمة بل إلى بجاية) (بؤرة تعويض)))[٥٦].

من شواهد ذلك في كتاب الله قوله تعالى: ((أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ)) ، تجلت الوظيفة التبئيرية في الخطاب الجدالي في الآية الكريمة التي تحدثت ((عن رجل سافر على حماره ومعه طعام وشراب، فمرّ بقرية قد تهدّمت وتحوّلت إلى أنقاض تتخلّلها عظام أهاليها النخرة. وإذ رأى هذا المشهد المروع قال : كيف يقدر الله على إحياء هؤلاء الأموات ؟ لم يكن تساؤله بالطبع من باب الشكّ والإنكار، بل كان من باب التعجّب، عند ذلك أماته الله مدة مائة سنة، ثمّ أحياه مرّة أُخرى وسأله : كم تظنّ أنّك بقيت في هذه الصحراء ؟ فقال وهو يحسب أنّه بقي سويعات : يوماً أو أقل، فخاطبه الله بقوله : بل بقيت هنا مائة سنة))[٥٧]، فوظيفة البؤرة التقابلية تجلت بلفظ "مائة" ، وهي داحضة للمعلومة التي يمتلكها المتكلم، وجاءت البؤرة هنا بموقع المفعول ، أي مفعول به ، وكان السبيل لهذه البؤرة الأداة النافية (لا) أو ربما كلا المقدرة ، المفهومة من سياق النص ، الحامل للبؤرة الجحود ، وبفعل القرنية النحوية (بل) الدالة على الإضراب ، فأضرب المخاطَب عن المعلومة التي يمتلكها المتكلم ، وعوضها بمعلومة أخرى .

وهذا النص يتضمن طبقةً واحدةً وعلى مقامٍ واحد ، وهما امتلاك المخاطب على المعلومة التي يعدُّها المتكلم معلومة غير واردة، وتصحيح المتكلم لهذه المعلومة.

ثالثا - بؤرة التوسيع : تستند بؤرة التوسيع إلى المكون الحامل للمعلومة التي يضيفها المتكلم ؛ ليكمل بها معلومة المخاطب التي يعده المتكلم ناقصة، مثلا لا لم يذهب خالد إلى تطوان فحسب ، بل كذلك إلى طنجة فالمخاطب لديه معلومة ولكن ناقصة واتمها المخاطب له(٥٨).

من شواهد ذلك في سورة البقرة((**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**)) [البقرة : ٢٦٠] ، تمثل أطراف الحوار في النص ، بين الله جل وعلا ونبيه إبراهيم عليه السلام ، فأتى التركيب الوظيفي كالآتي :

(المتكلم) إبراهيم بؤرة الطلب : كيف تحي الموتى ؟

المخاطَب الله جل شأنه: بؤرة الطلب: أولم تؤمن ؟

يلحظ على التركيب الثاني أنه جواب وسؤال، بمعنى رد على السؤال بسؤال، فتحول الخطاب وتحولت الأدوار من متكلم إلى مخاطَب ،ومن مخاطَب إلى متكلم.

المتكلم الله : أولم تؤمن؟

المخاطَب إبراهيم :((**قَالَ بَلَىٰ**)). والمعنى بلى آمنت

بؤرة المقابلة : ولكن ليطمئن قلبي.

فتوسع المخاطب بالمعلومة ، ولم يكتفي بالمعلومة الواردة ، فمع تأكيده معلومة الإيمان أضاف معلومة أخرى وهي طلب الإطمئنان، وتمَّ التوسيع بأداة الإستدارك" لكن ".

رابعا- بؤرة الانتقاء : تسند إلى المكون الذي يحمل معلومة ينتقيها المتكلم من بين مجموعة من المعلومات يتردد المخاطب في أيها وارد، مثل: أ إلى طنجة ذهب خالد أم إلى تطوان أم إلى الرباط ؟ الجواب: إلى الرباط ذهب خالد(٥٩).

وردت بؤرة الانتقاء في حوار موسى وقومه وجادلهم حول ذبح البقرة ، إذ قال تعالى في شأن ذلك ((**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**)) [البقرة ٦٧]، و((أول هذه القصة قوله تعالى : ((وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فادارأتم فِيهَا)) ، وإنما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلالها بنوع آخر من مساويهم ، وهو الاستهزاء بالأمر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة إلى الامتثال))(٦٠)، ابتدأ النص بمقامين ، مقام الاستخبار ومقام الإخبار ، الأول لبني إسرائيل ، والآخر لموسى عليه السلام، أما الوظيفة النحوية فهي بؤرة الجديد ، أتم الطلب بالجواب : أتتخذنا هزوا ؟ أعوذ بالله ...، إلا أن النص لم يكتفِ بهذا الحد من الحوار ، بل امتد ليصبح حوارا جدليا ، وهو ما تنماز به بؤرة المقابلة ، وقد أتت البنى الحملية الحاملة لبؤرة المقابلة في النص القرآني الآتي ((**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ**)) [سورة البقرة ٦٨]، على الشكل الآتي:

المتكلم :ما وصف البقرة ؟

المخاطب :لا فارض ولا بكر ؟.

إلا أن المتكلم متردد في قبول معلومة ، فأفضى هذا التردد إلى تركيب وظيفي يحمل في طياته سؤالا آخر ((**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ**)) **[سورة البقرة ٦٩].**

المتكلم: ما لونها ؟

المخاطب: صفراء فاقع لونها تسر الناظرين .

نوع البؤرة في النص هي "بؤرة جملة"، **تامة الوصف ، إلا أن الجدال حول المعلومة بقيَ مستمرا في النص، فولّد بؤرة أخرى ، وهي قوله تعالى: ((قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ)) [سورة البقرة ٧٠ ـ ٧١]، في هذا النص تكرر مضمون بؤرة الاستفهام السابقة، وهي طلب الوصف ، وكان الحوار كما يلي :**

المتكلم : (ما هي) أي ما وصف البقرة ؟

المخاطب :لا ذلول ولا تسقي الحرث لا شِيَة فيها.(بؤرة جملة)

وكثرة البؤر المبيّنة للمعلومة المراد إيصالها ، ومن ثم اختيار المتكلم وهم بني إسرائيل أحدى تلك البؤر ومن المرجَّح أن تكون البؤرة الأخيرة هي المنتقاة لمعرفة البقرة المراد ذبحها، صنفت الوظيفة النحوية للنص ووضعتها في بوتقة بؤرة الانتقاء ، وبحسب رؤية أحمد المتوكل أن الجمل الاستفهامية التي يتردد المتكلم في ورودها تسمى بؤرة التخيير أي الانتقاء [٦١]، وأيضا صنفت النص على أنه حوار جدلي حجاجي، ومن هنا((تتوافق أهمية الاستفهام في مقامات البؤرة مع كون الحوار هو المقام الأصلي للخطاب فبناء على قول جون هندس الذي يرجح كون كل عبارة لغوية هي حوارية لها باث ومستقبل يرى جدير أن النص السردي يندرج في نموذج التفاعل اللغوي لنظرية النحو الوظيفي))[٦٢].

الخاتمة

أولا – اشتملت سورة البقرة على نمطين من البؤر النحوية الوظيفية، هما بؤرة المقابلة بؤرة الجديد، وقد شكَّل النوع الثاني النسبة الأكبر مساحة في السورة.

ثانيا- أنجزت بؤرة الطلب التي هي بمثابة العمود الرئيس في بؤرة الجديد بأدوات الاستفهام المتعددة ، فلم تقتصر على أداة واحدة ، على العكس من بؤرة المقابلة التي اقتصرت على "الهمزة وما الاستفهاميتين .

ثالثا- في الأسلوب الخطاب لبؤرة الجديد نلحظ الاتفاق بين طرفي الخطاب على المعلومة الواردة من الطرف السائل والطرف المجيب ، بينما الغالب في بؤرة المقابلة التردد في المعلومة الأولى مما يسبب ترادف التراكيب الاستفهامية الباحثة عن المعلومة الأكثر اقناعا، مما شكل أسلوبا جداليا في النص .

رابعا – قد تقع البؤرة فاعلا أو مفعولا أو خبرا في التركيب النحوي ، بمعنى العناصر الأساس في البنية الحملية

خامسا- المظهر الغالب على البؤر أنها من نوع بؤرة الجملة ، فقد استحوذت على نسبة كبيرة في أسلوب الاستفهام ، بينما جاءت البؤرة المكونية بنسبة أقل في السورة، ويبدو لي لأن أغلب الغاية والهدف الأكبر هو الإيصال والإقناع ، لذلك أتت المعلومة المطلوب جوابها بحيز الجملة أكثر مما أتت بعنصر واحد من عناصرها.

سادسا- يلحظ على الأسلوب العام في عرض السؤال وطلب المعلومة في سورة البقرة أنه أتى بطريقة الحكاية ومقول القول ، منها الأسئلة المستقبلية التي تطرق على الانبياء وطرق إجابتها ، وحكاية أسئلة الأقوام لأنبيائهم وجواب الأخير عليها ، وهذا النمط الأخير غالبا ما نجده في بؤرة المقابلة ذي الطابع الجدالي.

سابعا- تقع اهتمامات النحو التقليدي على الاتجاه الصوري في القاعدة النحوية ، بينما في النحو الوظيفي يصف القاعدة النحوية وعلاقتها في المقام بوصف بوصفها أداة للتواصل في المجتمعات البشرية ، وقد تمثل ذلك في بنية النص لسورة البقرة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش

[١] النّحو الوظيفي والدّرس اللّغوي العربي دراسة في نحو الجملة: (أطروحة دكتوراه) الزايدي بودرامة: كلية الآداب واللغات جامعة الحاج لخضر باتنة الجزائر ٢٠١٤.: ٤٥.

[٢] الوظائف التداولية في اللغة العربية:٩.

[٣]اللسانيات الوظيفية مدخل نظري: ١٠٤.

[٤] ينظر: نظرية النحو الوظيفي.. الأسس والنماذج والمفاهيم ، د محمد الحسين: ١٩.

[٥] نظرية المصدر نفسه: ١٩.

(٦) النّحو الوظيفي والدّرس اللّغوي العربي دراسة في نحو الجملة: (أطروحة دكتوراه) الزايدي بودرامة: كلية الآداب واللغات جامعة الحاج لخضر باتنة الجزائر ٢٠١٤، : ٤٨.

(٧) الوظيفة بين الكلية والنمطية : احمد المتوكل:٦٥.

(٨) ينظر :من البنية الحملية إلى البنية المكوّنية الوظيفة المفعول في اللغة العربية: ١٦ .

(٩) ينظر: المصدر نفسه:١٧.

(١٠) اللسانيات الوظيفية،: ١٤٣ ـ ١٤٥.

(١١) من البنية الحملية إلى البنية المكوّنية الوظيفة المفعول في اللغة العربية، أحمد المتوكل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٩٧م، ص: ١٦.

(١٢) المصدر نفسه: ٢٣.

(١٣) المصدر نفسه، ص: ١٩- ٢٠.

(١٤) المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد: ٩٥.

(١٥) اللسانيات الوظيفية والبيداغوجيا " نموذج النحو الوظيفي:٦٣.

(١٦) المصدر نفسه: ٦٧.

(١٧)ينظر : الوظائف التداولية:٢٨.

(١٨) اللسانيات الوظيفية والبيداغوجيا " نمِوذج النحو الوظيفي:٦٣.

(١٩)الوظائف التداولية في اللغة العربية : ٢٩.

(٢٠) ينظر: أفاق جديدة في النحو الوظيفي:٥١.

(٢١) الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في البنية والوظيفة والنمط: ١٢٧.

(٢٢) أفاق جديدة في النحو الوظيفي:٥١ ـ٥٢.

(٢٣) ينظر: الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض التراكيب لقضايا اللغة العربية: ١٤٧- ١٤٨.

(٢٤)ينظر: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري:٢٥٥.

(٢٥)ينظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية:٣٣.

(٢٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢٧،و ٣٢.

(٢٧)المصدر نفسه: ١٣٠.

[٢٨]مفاتيح الغيب:٣٧٩/٦.

[٢٩]التحرير والتنوير:٣١٦/٢.

[٣٠]الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: مج ١/ج٢: ١٢٦.

[٣١] اللسانيات الوظيفية مدخل نظري٢٦٥

[٣٢] ينظر: المصدر نفسه: ٢٥٩ و٢٦٧

[٣٣] الميزان /١: ٣٣٩.

[٣٤] الأمثل : مكارم الشيرازي:٣٩٠/١.

[٣٥]ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول و الامتدادات: ١١٥.

[٣٦]ينظر: الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في البنية والوظيفة والنمط:١١٦.

[٣٧]إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٢٣٩/١.

[٣٨] ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول و الامتدادات: ١١٦

[٣٩] أنوار التنزيل وأسرار التأويل:ج/١: ٣٣٢.

[٤٠] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٤٠.

[٤١] النكت والعيون:١٩٧/١.

[٤٢] الوظائف التّداوليّة في اللّغة العربيّة: ٢٨.

[٤٣]: الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض التراكيب لقضايا اللغة العربية: ١٤٧.

[٤٤] ينظر: المصدر نفسه: ١٤٧- ١٤٨.

[٤٥] الوظيفة بين الكلية والنمطية : احمد المتوكل: ٢٣٠.

[٤٦]ينظر: الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض التراكيب لقضايا اللغة العربية:١٤٣.

[٤٧]ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية "بنية الخطاب من الجملة إلى النص: أحمد المتوكل:١١٨.

[٤٨] البؤرة في نظرية النحو الوظيفي قراءة جديدة في التنميط أحمد المتوكل : (بحث) :د. سعيدة زيغد : مجلة التواصل في اللغات الثقافة والآداب: ع ٣١: : ١٤٠.

[٤٩] ينظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية :٢٩.

(٥٠)قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية "بنية الخطاب من الجملة إلى النص: ١١٩- ١٢٠.

(٥١)النكت والعيون / ١/ ١٨٣.

(٥٢) ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول و الامتدادات: ١١٦

(٥٣)ينظر: البؤرة في نظرية النحو الوظيفي قراءة جديدة في التنميط أحمد المتوكل : (بحث) :د. سعيدة زيغد : مجلة التواصل في اللغات الثقافة والآداب: ع ٣١: ٢٠١٢: ١٤٢.

(٥٤) ينظر :المصدر نفسه: ١٣٦.

(٥٥) قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية "بنية الخطاب من الجملة إلى النص: ١١٩- ١٢٠.

(٥٦) النّحو الوظيفي والدّرس اللّغوي العربي دراسة في نحو الجملة: (أطروحة دكتوراه) الزايدي بودرامة: كلية الآداب واللغات جامعة الحاج لخضر باتنة الجزائر ٢٠١٤. :٢٠٠.

(٥٧)الأمثل: ج/١. :٢٦٦.

(٥٨) ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص :١١٩ – ١٢٠.

(٥٩) ينظر: المصدر نفسه :١١٩ – ١٢٠.

(٦٠) أنوار التنزيل: ج١/ ٦٦.

(٦١) ينظر: آفاق جديد في النحو الوظيفي: ١٢٥ – ١٢٦.

(٦٢) البؤرة في نظرية النحو الوظيفي قراءة جديدة في التنميط أحمد المتوكل : (بحث) :د. سعيدة زيغد : مجلة التواصل في اللغات الثقافة والآداب: ع ٣١: ٢٠١٢: ١٤٠.

المصادر والمراجع-

١ - القران الكريم -

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، د . ط ، د. ت.

٣ - أفاق جديدة في النحو الوظيفي، أحمد المتوكل دار الهلال ، ط١، ١٩٩٣,

٤ - الأمثل : مكارم الشيرازي. ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب،ط٣ ، ١٤٢٦ه.

٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط: الأولى- ١٤١٨ هـ.

٦- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس ، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، ط٢، سنة النشر: ١٤٢٢ – ٢٠٠٢,

٨- الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في البنية والوظيفة والنمط، أحمد المتوكل، الدار العربية للعلوم ناشرون – بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠ .

٩- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية "بنية الخطاب من الجملة إلى النص: أحمد المتوكل، دار الأمان، للنشر والتوزيع ، د، ط ، ٢٠٠١,

١٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي – بيروت ،ط٣ - ١٤٠٧ هـ.

١١- اللسانيات الوظيفية مدخل نظري: أحمد المتوكل، مطبعة عكاظ، زنقة أبو نواس، الرباط، د.ط، د،ت.

١٢- اللسانيات الوظيفية والبيداغوجيا " نموذج النحو الوظيفي، علي آيت أوشان ، دار الثقافة، الرباط، ط١، ١٩٩٨,

١٣- مفاتيح الغيب، الرازي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط: ٣ - ١٤٢٠ هـ

١٤- من البنية الحملية إلى البنية المكوّنية لوظيفة المفعول في اللغة العربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ١٩٨٧,

١٥- المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد: أحمد المتوكل دار الأمان الرباط ، ط١، ٢٠٠٦,

١٦- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

١٧- نظرية النحو الوظيفي.. الأسس والنماذج والمفاهيم ، د محمد الحسين. دار الأمان، ط١، ٢٠١٤,

١٨- النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)المحقق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، د. ط ، د.ت.

١٩- الوظائف التداولية في اللغة العربية: أحمد المتوكل، دار الثقافة ،ط١، ١٩٨٥,

٢٠- الوظيفة بين الكلية والنمطية : احمد المتوكل. مكتبة دار الأمان، د. ط ، ٢٠٠٣,

٢١- الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، منشورات عكاظ، الرباط، د .ط ،١٩٩٣.

البحوث والمجلات

البؤرة في نظرية النحو الوظيفي قراءة جديدة في التنميط أحمد المتوكل : (بحث) :د. سعيدة زيغد : مجلة التواصل في اللغات والثقافة والآداب: ع ٣١.

الرسائل والأطاريح

النّحو الوظيفي والدّرس اللّغوي العربي دراسة في نحو الجملة: (أطروحة دكتوراه) الزايدي بودرامة: كلية الآداب واللغات جامعة الحاج لخضر باتنة الجزائر، ٢٠١٤.